سلسلة مطويات شبكة بينونة

الوظائف الشرعية في عشر ذي الحجة

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

يُخبر ﷻ في هذه الآية الكريمة عن تفرُّده بالخَلْق، وانفراده باختيار ما يختاره من خَلْقه، وتخصيصه بمزيد فضل وعناية، فله ﷻ الحكمة البالغة فيما يختاره من الأشخاص، ويصطفيه من الأماكن، ويجتبيه من الأزمان، وليس لأحد من خَلْقه شيء من ذلك الاختيار[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «فكما أنه المنفرد بالخَلْق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومحالٌّ رضاه، وما يصلح للاختيار ممَّا لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه»[2].

ومن لُطف الله ﷻ بعباده المؤمنين وإحسانه إليهم أن هيَّأ لهم أزمنة واختار لهم أوقاتاً يتعرَّضون فيها لنفحات رحمته؛ ليزدادوا منه قُرباً وعنده رِفعة، وقد نبَّه ﷺ أُمَّته على ذلك بقوله: «افعَلُوا الخيرَ دهركم، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله، فإنَّ لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسَلُوا اللهَ أن يستر عوراتكم، وأن يُؤَمِّن روعاتكم»[3].

ومن تلك الأوقات الفاضلة، والأيام المباركة التي حثَّ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص:٦٢٢)، وزاد المعاد لابن القيم (٣٩/١).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣٩/٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٢٠)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٩٠).

النبي ﷺ على اغتنامها، ومَلْئها بصالح الأعمال: أيام عشر من ذي الحِجَّة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيامٍ أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلَّا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء» (٤).

ففي هذا الحديث يُنبِّه ﷺ أُمَّته ويرشدها إلى منزلة العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحِجَّة، ويُبيِّن أنَّ العمل فيها أفضل من العمل في غيرها من أيام الدنيا، وليس هذا فحسب، بل إنَّ العمل فيها أحب إلى الله تعالى فيما سواها من الأيام، يدل لذلك اللفظ الآخر وهو قوله ﷺ: «ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام». يعني: أيام العشر (٥).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها، صار العمل فيه وإن كان مفضولاً أفضل من العمل في غيره وإن كان فاضلاً» (٦).

حتى وإن كان ذلك العمل الجهاد في سبيل الله، ولهذا لَمَّا راجع الصحابةُ النبيَّ ﷺ وقالوا له: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلَّا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء» (٧)، فاستثنى بعد جوابه عن سؤالهم صورة واحدة من صُوَر الجهاد في سبيل الله وهي: ذهاب النفس والمال، وبيَّن أنها تفضل على العمل في أيام العشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واستيعاب عشر ذي

---

(٤) رواه البخاري (٩٦٩).

(٥) رواه أبو داود (٢٤٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٤٨).

(٦) لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٥٨).

(٧) سبق تخريجه.

الحِجَّة بالعبادة ليلاً ونهاراً أفضل من جهاد لم تذهب فيه نفسه وماله...»[٨].

فدل هذا كله على فضل هذه الأيام العشر، وعلى الحث على الاجتهاد في الأعمال الصالحة فيها بشتى أنواعها؛ لذا فقد حرص السلف الصالح أشد الحرص على الظفر بفضل هذه الأيام، وذلك باغتنامها، والإقبال على القيام بحقِّها وأداء المطلوب فيها، من ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير ﷺ أنه «إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يُقْدر عليه»[٩]، وكان يقول:«لا تُطفئوا سرجكم ليالي العشر» -تُعْجبه العبادة- ويقول: «أيقظوا خَدَمكم يتسحَّرون لصوم يوم عرفة»[١٠].

وقال ليث بن أبي سليم:«كان مجاهد يصوم العشر»[١١]، وكان عطاء بن أبي رباح يتكلَّف صيامها[١٢].

وقال عبد الله بن عون: «وكان محمد يصوم العشر -عشر ذي الحِجَّة- كله»[١٣].

إلى غير ذلك من الآثار الواردة عن السلف الصالح والتي تدل على تعظيمهم ما كان يُعظِّمه رسول الله ﷺ، ويجتهدون في الاقتداء به ﷺ، وهذا هو التأسِّي به حقّاً وصِدْقاً ﷺ، أن يُفعل كما فَعَل على الوجه الذي فَعَل.

ومِمَّا يُبرز شأن هذه الأيام ويُظهر فضلها:

١- إقسام الله تعالى بها في قوله ﷻ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، والمراد بها: ليالي عشر ذي الحِجَّة، قال الحافظ ابن رجب ﷺ: «هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم،

(٨) اختيارات ابن تيمية الفقهية للبعلي (ص:٦٢).
(٩) رواه الدارمي (١٨١٥)، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (٣٩٨/٣).
(١٠) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨١/٤).
(١١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٦).
(١٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٦).
(١٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٥).

وهو الصحيح عن ابن عباس، روي عنه من غير وجه» [١٤].

قال أبو الضحى: سئل مسروق عن ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ فقال: «هي أفضل أيام السَّنَة» [١٥].

وهذا يدل على فضيلة ليالي عشر ذي الحِجَّة، والليالي إذا أُطلقت دخلت فيها الأيام تبعاً [١٦].

٢- أنَّ أيام عشر ذي الحِجَّة هي الأيام المعلومات التي شرع الله فيها الذِّكْر لعباده في قوله: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ [الحج: ٢٨] «وجمهور العلماء على أنَّ هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحِجَّة» [١٧].

٣- أنَّ أيام عشر ذي الحِجَّة هي خاتمة الأشهر المعلومات، وهي أشهر الحج التي قال الله فيها: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحِجَّة [١٨].

٤- إخباره ﷺ بأنَّ أيام عشر ذي الحِجَّة هي أفضل أيام الدنيا.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر». يعني: عشر ذي الحِجَّة [١٩].

وهذا «يدل على أنَّ عشر ذي الحِجَّة أفضل من غيره من الأيام من غير استثناء» [٢٠].

٥- الإخبار بأنَّ القيام بالأعمال الصالحة فيها أحب إلى الله تعالى من سائر الأيام، وقد تقدَّم تفصيل هذا،

(١٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٧٠).
(١٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٨١٢٠).
(١٦) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٦٨).
(١٧) لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٧١).
(١٨) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٧١).
(١٩) رواه البَزَّار في مسنده كما في كشف الأستار (١١٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٠).
(٢٠) لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٦٨).

ويضاف إلى ما تقدَّم قوله ﷺ: «ما من عَمَل أزكى عند الله ﷻ ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى» (٢١).

٦- اشتمال هذه الأيام على يوم عرفة، وهو من أعياد المسلمين.

٧- اشتمال هذه الأيام على يوم النَّحْر وهو أفضل الأيام وأعظمها عند الله، فعن عبد الله بن قُرْط عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى: يوم النَّحْر، ثم يوم القَر» (٢٢).

٨- أنَّ في هذه الأيام العشر تجتمع أُمَّهات العبادات؛ من الصلاة والصيام والصدقة والحج والذبح وغيره، وهذا لا يكاد يتأتَّى أو يجتمع في غير هذه الأيام (٢٣).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق عِدَّة فوائد:

١- عناية النبي ﷺ بالمواسم والأزمنة التي يحب الله تعالى فيها من عباده الاجتهاد في الأعمال الصالحة، وتنبيهه الأُمَّة على ذلك.

٢- أنَّ هذا الفضل الوارد في الحديث خاص بهذه الأيام العشر دون غيرها من أيام الشهر؛ لِمَا تقدَّم من ألفاظ الأحاديث الصريحة المبيِّنة لهذا، ومنها: قوله ﷺ: «ما من عَمَل أزكى عند الله ﷻ ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى» (٢٤).

٣- أنه لا يُصار إلى تخصيص شيء من الأعمال الصالحة بيوم من الأيام أو ليلة من الليالي أو شهر من الشهور إلَّا بدليل صحيح صريح عن نبيِّنا ﷺ؛ وذلك أنَّ التخصيص تشريع

---

(٢١) رواه الدارمي (١٨١٥)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٣/٣٩٨): «وإسناده حسن».

(٢٢) رواه أبو داود (١٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٦٤).

(٢٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/٤٦٠).

(٢٤) سبق تخريجه.

والتشريع لا يُصار إليه إلَّا بدليل.

ويقال في توضيح هذه القاعدة: أنه لولا دلالة النبي ﷺ أُمَّته وإرشاده إلى تخصيص عشر ذي الحِجَّة بمزيد طاعة وكثرة عبادة لَمَا جاز أن تُخَص هذه الأيام دون غيرها بذلك.

٤- أنَّ العمل الصالح المرغَّب فيه في هذه الأيام شامل لكل أنواعه، وكافة أفراده، بل وعلى مضاعفة جميع الأعمال الصالحة بلا استثناء شيء منها [٢٥].

ويُزاد على ذلك ما جاءت النصوص باختصاصه بهذه الأيام العشر فيُبذَل ما يُقْدر عليه من الاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة التي خُصَّت بها هذه الأيام دون غيرها؛ كالإكثار من التكبير والتهليل والتحميد على حسب ما ورد، إطلاقاً في كل الأوقات وعلى جميع الأحوال، وتقييداً من فجر يوم عرفة عقب الصلوات الخمس -لغير الحاج- إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحِجَّة، مع رفع الصوت والجهر بالتكبير -حسب الاستطاعة-؛ فإنَّ هذا من تعظيم شعائر الله.

هذا الذي عليه جمهور السلف والفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة [٢٦].

وكالاجتهاد في صيام ما أمكن من هذه الأيام، وعلى وجه الخصوص يوم التاسع منها الذي هو يوم عرفة -لغير الحاج-، فقد قال ﷺ شاحذاً العزيمة على صيامه: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنَة التي قبله، والسَّنَة التي بعده» [٢٧].

قال الإمام النووي رحمه الله: «ليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هو مستحب استحباباً شديداً، لا سيَّما

---

(٢٥) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص:٤٦٠).
(٢٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/٢٢٠).
(٢٧) رواه مسلم (١١٦٢).

التاسع منها وهو يوم عرفة» [٢٨].

وممَّا ينبغي على من وفَّقه الله للطاعة أن يحرص عليه ما خُصَّت به هذه الأيام من ذبح الأضاحي فإنها من شعائر الإسلام الظاهرة، «وهي النُّسُك العام في جميع الأمصار» [٢٩].

ونبيُّنا ﷺ لم يكن يدع الأضحية، لذا فإنه يلزم من عزم على الأضحية التفقُّه فيها، وتعلُّم أحكامها قبل التقرب إلى الله بذبحها.

كما أنَّ على من وفَّقه الله للإقبال على عبادته في هذه الأيام المباركة أن يسعى إلى صلاة العيد فيواظب عليها، ويتفقَّه في أحكام هذا اليوم المبارك من أيام الله -وهو يوم العيد- حتى يأتي بالمطلوب منه على علم وبصيرة.

فبهذه المثابرة على الخير والملازمة لِمَا يحبه الله ويرضاه، والاشتغال بما يُقرِّب إليه ﷻ تُغفر الذنوب، ويُعفى عن الزلات، ويُتجاوز عن السيئات، ويُنال الفلاح في الدنيا والآخرة.

٥- حِرْص الصحابة رضي الله عنهم على العلم، وعلى التفقُّه في المواسم الشرعية ومعرفة أحكامها، وهذا ظاهر من خلال مراجعتهم النبي ﷺ وسؤالهم إيَّاه.

٦- وجوب مراعاة الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ في العمل؛ لقوله -كما في اللفظ الآخر-: «**ما من أيامٍ العمل الصالح فيها**» [٣٠]، إذ لا يوصف العمل بالصلاح إلَّا بتوفر هذَيْن الشرطين وهما: إرادة وجه الله والدار الآخرة بالأعمال الصالحة، ولزوم الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسِّي به في العمل المحبوب لله، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال

(٢٨) شرح النووي على مسلم (٤/٣٢٨).
(٢٩) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/١٦٢).
(٣٠) سبق تخريجه.

سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [الإسراء: ١٩].

وبعدم تحقُّق هذَيْن الشرطين في العمل فإنه لا يُرفع، ولا يُقبل العمل عند الله ولا يصعد إليه إلَّا باتِّصافه بالصلاح، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

وختاماً:

فلا ينبغي أن تمرَّ علينا هذه الأيام دون اغتنام لها، وحرصٍ على أوقاتها، واجتهادٍ في ساعاتها، والناصح لنفسه يُدرك قَدْر هذه الفُرَص فيسعى في تحقيق مراد الله تعالى فيها عملاً بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فالغنيمة «الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، والمبادرة المبادرة بالعمل، والعَجَل العَجَل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فَعَل، قبل أن يسأل الرجعة ليعمل صالحاً فلا يُجاب إلى ما سأل، قبل أن يصير المرء مُرتَهناً في حفرته بما قدَّم من عمل» [٣١]، والله المستعان.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(٣١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٧٧) باختصار.